قراءة في كتاب دانيال جواداك:
"المترجم، الترجمة والمؤسسات"

عيسى بريهمات
جامعة ثليجي عمار
- الأغواط -

صدر كتاب "دانيال جواداك"[1] "المترجم، الترجمة والمؤسسات" سنة 1989 ضمن إصدارات Afnor Tour Europe سلسلة G.Delizy بـ باريس. وفيه يوغل بنا المؤلف في الدروب التفصيلية للترجمة، وهو بهذا العمل الشامل والدقيق يفرض علينا قراءة موضوعية (خطوة - خطوة) لظاهرة الترجمة في أحضان المؤسسة وعلى صعيد العالم في محيط التواصل العابر للقارات. نستشف من منظوره البانورامي أن الترجمة التي أضحت صناعة خطيرة وضرورية في إطار تحولات السوق وحرية المشروعات والنشاطات المختلفة لا تستغني عنها لا الأمم ولا الأفراد. وجدير بالملاحظة في ضوء هذا الكتاب أن الترجمة أصبحت، في واقع الأمر، هي لغة العالم الحي المنتج، فهي القاسم المشترك بين اللغات، وأهم وسيط على متنه تنقل النصوص بل مختلف البضائع والنشاطات والخدمات...[2]

لاشك في أن القراءة النقدية لكتاب: "المترجم، الترجمة والمؤسسات" المنضوي ضمن أعمال أحد أساطين الترجمة "دانيال جواداك" تعد مغامرة بالغة الصعوبة، فأمام الدارس أن يقف أحد موقفين إما الانبهار بالرجل ونصوصه الفائقة التنسيق والإحكام فيظل يسبل تقريظا على عمله "البانورامي" الدقيق دونما نقد ترجمي أصيل، أو أن يقف موقف النقاد الفرحين بما في أيديهم من أجهزة نقدية تدعي الموضوعية والقدرة على النفاذ إلى أي نص وسبر أغواره. وسعياً إلى قراءة سليمة قطعت رحلتي الفاحصة لهذا المنجز المُميز مترددا، فلم أكن لا من هؤلاء المنبهرين ولا من أولئك النقاد الفرحين، بل كنت أتوخى قراءة موضوعية أصل بها إلى حوصلة مبررة.

بروح متوثبة غير مترددة، يضعنا كتاب "دانيال جواداك" بشكل مباشر أمام أعمال ونصوص ترجمية هامة تعبر عن وضع الترجمة في المؤسسات المختلفة والتوجهات والآليات الترجمية التي تتوسل بها. ما يلفت الانتباه هو اهتمام "دانيال قواداك" بالحضور الفاعل للترجمة في فضاءات العمل والإنتاج والتبادل الاقتصادي. وقد تبدو الترجمة في كتابه بمثابة جسر يوطد العلاقات بين الشعوب والثقافات، إذا التزمت شروطها أما إذا أغفلتها فقد تكون جسرا هشا أو عامل توتر يهدد الهوية لكن لا استغناء عنه.[3]

ويرى في هذا المضمار أن التطورات الحاصلة في الأفعال أو الممارسات الترجمية المختلفة منذ عقد التسعينات حتى الآن، لم تنفصل عن التغيرات الاجتماعية والسياسية التي طرأت على المشهد المؤسساتي والاجتماعي.[4] إن الاهتمام بالفعل المؤسساتي الذي تنطوي عليه الترجمة شكل جزءا أساسيا من اهتمامات "دانيال جواداك" والعديد من الباحثين في الوقت الحاضر.

وتأتي ترجمة المراسلات العامة والخاصة معطى اقتصاديا محكوما بقوانين السوق - العرض والطلب - والقوانين المؤسساتية. إستراتيجية الترجمة تخضع لعناصر مختلفة منها ثقافة المقاولة والمقاولة المبطنة والنسق التنظيمي ثم أقدمية وخبرة الشركة المتعددة الجنسيات.

يستهل"دانيال جواداك" تصدير مشروعه الترجمي، في مستواه الأول، بمجموعة من الأسئلة المحورية حول طبيعة التصور النظري للترجمة أولا، ثم ينتقل إلى الممارسة الإجرائية التحليلية في ضوء ذلك التصور، قائلا: "كيف يمكننا تحليل الترجمة بعيدا عن التصورات النظرية؟ ما هو موضوع الترجمة؟ ما هي أدواتها وأسئلتها؟ كيف يمكننا إقامتها وتطويرها" ويستدرك أن الترجمة توجد في محيط لساني واسع يكمل عمل المترجم. هناك مهن لسانية أخرى تحيط بالترجمة وتقدم لها خدمات لسانية متممة على سبيل المثال

المصطلحي Le terminologue، الأسلوبي، المحرر، الباحث التوثيقي recherchiste documentaliste، معيد القراءة Le relecteur.[5]

وهو في هذا المنطلق التأسيسي لا يختلف كثيرا عن مترجم العصر الحديث المميزين بالنزعة البرجماتية والذين رفضوا الاهتمامات النظرية واعتبروها خارج اختصاصهم فهي من مهام اللسانيين ونقاد وفلاسفة وأسلوبي ين.[6] وأقصى ما يمكن أن يقدمه المترجم الممارس هو أن يستخلص من ممارساته قواعد ووصفات وتجارب وآليات ونماذج ليس لها من كيان سوى إلقاح الممارسة وإخصابها.

الكتاب في بابه الأول (Panorama de la traduction يقدم ويعرض بانوراما عامة عن الترجمة يجيب فيها عن أسئلة كثيرة ومتعددة ما الترجمة؟ ما مهامها المختلفة والمتعددة؟ ما وظائفها في إطار المقاولة والمؤسسة؟ كيف ينبغي أن تترجم وعلى أي معيار ونموذج؟ هل الترجمة مهنة واحدة أم متعددة ؟... وهلم جرا من الأسئلة.

وعلى الرغم من أن الكتاب يتميز بطابع علمي فني ارتأيت أن أدلف إليه من خلال العتبات المفتاحية المحددة والموجهة للقراءة.

يتصدر غلاف الكتاب عنوان ثلاثي يتكون من ثلاث كلمات أساسية في شكل ثلاثي أو مثلث. الضلع الأول منه يمثل المترجم والضلع الثاني المقابل الترجمة، بينما قاعدة المثلث هي المؤسسة بوصفها همزة وصل بين المترجم والترجمة.

وهذا الشكل من الكتابة الهندسية يوحي بكل المراحل التاريخية التي قطعتها الترجمة إلى أن أصبحت مؤسسة مركبة تنتج الترجمة بشكل صناعي أو آلي مدعومة بالحاسوب ولواحقه المختلفة.

هذا العنوان السالف الذكر يقع فوق اسم المؤلف "دانيال جوادك" وكأنه واسطة العقد الهندسي. وتحت اسم المؤلف يبرز مربع كبير لازوردي اللون به ستة عشر مربعا صغيرا، في كل مربع قرص دائري، وتتدرج هذه الدوائر تصاعديا من الأكبر إلى الأصغر. وهذا الشكل الهندسي المتميز والذي يتربع على صفحة الغلاف يوحي للمتلقي كأنه أمام آلة حاسبة أو شاشة رقمية.

وضمنيا وبسيمياء الأشكال الهندسية واستنادا على التأويل يريد مصمم الغلاف أن يقول للمتلقي الافتراضي أو الواقعي أن الترجمة آلة إلى الدقة الهندسية الرياضية الرقمية بل أصبحت مسألة حوسبة أو أن الترجمة يتحكم فيها سلما تدرجيا على عاتقه يقوم مدى تكافؤها أو تطابقها.

ورد كتاب "المترجم، الترجمة والمؤسسة" في حجم متوسط، يقع في حدود 182 صفحة. تتوزعه خمسة أبواب، تضم بدورها 18 فصلا بين لفائفها وطواياها مباحث تَركز مسعاها وتمحور وَكْدها حول مقاربة الترجمة المترجم المؤسسة.

الباب الأول: اشتمل على ثلاثة فصول عالجت مباحث كبرى في أسئلة شمولية منها ما الترجمة؟ يبدأ الكتاب بعرض المنطلقات الأساسية التي يقوم عليها التصور الترجمي ومزاياه ويمضي بعد ذلك في تعريف مفاهيم : ـ المترجم ،الترجمة، المؤسسة ـ.

يؤسس المترجم "دانيال جواداك" كتابه الموسوم: «Le traducteur, la traduction et l'entreprise» على ثلاث ملاحظات مُؤَطرة وموجهة نستعرضها دون التعليق عليها لأنها واضحة وضوح الشمس:

1. الأفراد والمؤسسات والهيئات لا تترجم، في معظم الأحيان، إلا تحت الإكراه بل وفي آخر لحظة.

2. عند الترجمة نتوسل، في واقع الأمر، بأي كان بل ودون اهتمام.
3. غالبا ما تكتسي الترجمة قيمة تبخيصية.

والمتتبع لأطوار هذا الكتاب يجده يتجلى في بابه الأول بوصفه عبارة عن بانوراما عامة للترجمة يجيب فيه المؤلف عن أسئلة كثيرة .ما الترجمة؟ مهامها المختلفة؟ وظائفها؟ أنواعها؟ نماذجها...

في سؤال ما الترجمة؟ يرى "دانيال جواداك" أن التعريف التقليدي، يقلص الترجمة ويجعل منها آلية فحسب وظيفتها تعويض لغة بلغة أخرى أو على سبيل المثال "نقل إلى الفرنسية" رواية، دليل استعمال، بطاقة ميلاد، قصيدة، دليل الأعطاب المختلفة، مرسوم... يكون أصلها باللغة الإنجليزية على سبيل المثال.

في واقع الأمر، الترجمة لا يمكن أن تختصر في المرور من لغة إلى أخرى: فهي تتطلب دائما تكييفا كاملا للوثيقة الأصلية المعدة سلفا لجمهور يتميز بعادات مختلفة، وأذواق مختلفة، وصيغ تفكير مختلفة، وسلوكات مختلفة. إذن هذا الجمهور السابق الذكر يجب أن يتلقى الوثيقة مترجمة وكأنها قد حررت من قبل فرد ينتمي إلى الثقافة نفسها.[7]

ومن أجل التفكر في الترجمة بصفة ناجعة وعقلانية فليقال أن وثيقة (مترجمة إلى الفرنسية) ويمثل بهذا لوثيقة نوعها، وشكلها اللساني، وقياسها، وبنيتها، وخصائصها الفيزيائية، ومحتويات خصوصياتها ووظائفها قد فرنست. الترجمة تستورد أو تصدر محتويات بعد أن تكون قد حيدتها كليا ما أمكن.[8]

ترجمة المراسلات العامة أو الخاصة معطى اقتصادي محكوم بقوانين السوق - العرض والطلب - وإلى القوانين المؤسساتية

.إستراتيجية الترجمة تخضع لعناصر مختلفة منها ثقافة المقاولة والنسق التنظيمي.

طبيعة الترجمة:

الترجمة قبل أن تكون نشاطا يحدد ويؤسس مهنة، هي آلية، وكل ترجمة هي منتوج يحصل من هذه الآلية والحذف المؤقت لسد الحدود اللسانية والثقافية، الآلية تسعى دوما إلى توسيع نشر المنتوجات، والمفاهيم والأفكار، وإذا كان ممكنا السعي إلى جعلها عالمية .

وعالج الفصل الثاني انتظام عالم الترجمة؟ أنواع الترجمة ونماذجها.

الفصل الثاني: تنظيم فضاء الترجمة المترجم الداخلي والخارجي، الشركات المتعددة الجنسيات، منشأة متعهدة ثانويا، المترجم المنتدب إلى مؤسسة. من المترجم المتنقل المنعزل إلى المترجم القطب في مكتبه نشرية مؤسساتية، إلى المترجم قرصان.

التعرف على الأرضية المتحركة والمشهد الذي لا ينفك يعاد تركيبه، ومعرفة النقاط الأحدثيات الضرورية لفهم السياق المركب والمعقد، الذي تقام فيه علاقة في بعض الأحيان منسجمة وأحيانا أخرى غير منسجمة يصطدم فيها المترجم مع من يتقنون الخدمات أنواع الترجمة نماذج من الترجمة تعرف الترجمة أشكال متغيرة ومختلفة حسب الظروف الدافعة إلى الترجمة المختلفة. فما الترجمة وما أسسها وما هي اتجاهاتها ومدارسها، وما محاولات تطبيقها، وإلى أي مدى حقق البحث الترجمي نجاعته وفعاليته في مقاربة النصوص وتحليلها.[9]

مكاتب المقاولة /المناولة أو منشأة التعهد[10]

تريد وتبتغي عادات وأعراف المؤسسة أن الوثيقة المعدة للترجمة تترجم بنفس الطريقة، حسب دفتر الشروط نفسه أو حسب قواعد فنية لا تتغير. لكن الوثيقة المترجمة عادة ما توجه إلى جمهور مختلف المشارب له أهداف مختلفة ومتنوعة وأن ترجمة كاملة، مطلقة

محررة مطلقا هي المستهدفة والقابلة للإنجاز. والقاعدة ترى وتريد من المترجم أن يترجم الكل بطريقة مطلقة وترك المبادرة لمستهلكي الترجمة في أن يجعل منها قراءة انتقائية.[11]

من خصائص الترجمة التقنية أنها لا تقبل الارتجال والعفوية ولا تكرسهما، بل تشترط مترجمين لهم معرفة عميقة وخاصة بالمصطلحات الدقيقة. لا ينهض بها في الواقع إلا أشخاص مختصون خبراء في ميادينهم ولهم اختصاص آخر بالإضافة إلى الترجمة. إذا كان المطلوب في هذا السياق ترجمة واضحة ومفهومة فالوكالات والمؤسسات والهيآت الممارسة للترجمة تعمل في واقع الأمر مع المهندسين والخبراء التقنين الذين يتحكمون في فن الترجمة. وترى هذه المؤسسات الناهضة بمهام الترجمة أنها تتكفل بأن توفر، للزبائن المختلفين، خدمات مشخصة متفردة ذات نوعية (انتقائية، مختصرة، تحليلية، آلية، عامة، مطلقة...) مع احترام الآجال المحددة.

أما في الفصل الثالث من الباب الأول:

نجد "دانيال جواداك" يشير إلى العمليات الترجمية المختلفة والمتعددة مُبتَدءًا، بإعطاء شكل مناسب للوثيقة المعروضة للترجمة، ثم مراقبتها، وتصحيحها وتفضي بعد ذلك إلى التحليل، ثم البحث الوثائقي، والبحث المصطلحي، ثم التحويل الترجمي الذي يستدعي معدات وبرامج مساعدة للترجمة ومنها مثلا برمجيات معالجة النصوص. بعد هذه المراحل الأساسية تخضع الوثيقة إلى إعادة القراءة والتصحيح والنشر.[12]

يعرض "دانيال جواداك" حقل الترجمة بصفة مقتضبة مشيرا إلى النماذج التقليدية من الوثائق التي تخضع عادة للترجمة ويبقى هذا العرض محدود الأفق وربما في هذا السياق يحتاج إلى تحيين الوثائق لأن الكتاب أنجز قبل عشرين سنة (1989) والترجمة اليوم قطعت مشوارا معتبرا.[13]

وفي إشارته إلى وظائف الترجمة وتحدياتها يكتفي بالقول: أن الترجمة من أهم الوسائل والأدوات الناسفة للحدود المفتعل التي تصنعها اللغة في أشكال التواصل.[14]

والترجمة عندما تنجز على الوجه الصحيح محترمة بروتوكولات العرض، والتصحيح اللساني والشفافية، تستجيب لأفق المرسل إليه أو الزبون. فهي في واقع الأمر ترسل رسالة منسجمة مع منظور موضوعها ومع الجمهور والأهداف المرسومة والغير مرسومة. في الأخير إنه من المجدي أن نطلب من الترجمة أن تنقل الرسائل أو المحتويات مع احترام المتلقين وصيغ تفكيرهم واستعمالاتهم المتعارف عليها ومنظومات قيمهم وثقافاتهم.

إن الترجمة عندما تكتمل شروط إنجازها نوعا وكما سرعان ما تكون رافدا حيويا للتنمية المعرفية والإنسانية وجسرا للتفاعل مع مختلف الثقافات أو حتى قناة للوصول إلى المصادر الأصلية للمعرفة. وبهذا تستجيب لعولمة المنتوجات والمفاهيم والأفكار والآليات وتساهم بصفة أوسع في التعريف بالمؤسسة أو الهيئة التي أنجزت أو أبدعت المنتوج أو المفهوم أو الفكرة أو الآلية. كما تساهم في نشر صورة إيجابية للمؤسسة وتدعم كذلك نوعية "منتوج الترجمة" في حد ذاته.[15]

ومن هذا المنطلق، الوثائق المترجمة هي في واقع الأمر وجوهريا الناطق الرسمي للمؤسسة في الخارج وبمختلف اللغات. الوثائق المترجمة عموما هي اللقاء الأول لشريك (المستقبل) مع المؤسسة. في هذا المضمار ينبغي أن تكون الوثائق المترجمة هي الدعامة أو الحاملة لتأشيرة المهنية العامة للمؤسسة. في المقابل الترجمة الرديئة أو المشوهة هي دائما وضمنيا تستدعي التوقع بأن باقي منتوجات المؤسسة آيلة هي كذلك غلى ضعف في النوعية الأمر الذي يؤلب عليها باقي المنافسين من المؤسسات التي تستغل حتى هنات الترجمة .

أما الترجمة المكتملة الوجوه فهي أحسن وأقوى حصن في وجه كل أشكال "الاستعمار" ثقافي - اقتصادي - إيديولوجي بل أيضا لساني. الترجمة أرض صراع ومجابهة بين نسقين وعلى المترجم أن يدافع على اللغة التي يترجم إليها ضد التي ينقل عنها. وهو بهذا الصنيع كأنما يبدع للموضوع أو النص حيزا (عادة سوق) في البلد المستهدف. ونستنتج من هذا أن المؤسسات والهيئات الوطنية والقومية هي في واقع الأمر حصون نتاج وإنتاج بالإضافة لهذا فهي كذلك حصون هوية وثقافة، تدافع وتنافح بواسطة نص الترجمة. باعتبار الترجمة سندا نهضويا، سواء من حيث نقل المعارف ونشر الفكر العلمي أومن حيث تطوير اللغة ذاتها.[16]

أما الباب الثاني:

فهو عبارة عن دليل صغير ومختصر لمانح العمل أو الوثيقة الفصل الرابع ناقش فيه فعل الترجمة عبر سلسلة من الأسئلة الهادفة واقتصر الفصل الخامس على إيجاد واختيار المترجم الجيد بالروائز والانتقاء والتقييم. الفصل السادس من الباب الثاني تعرض لشروط الترجمة، أجرها، أجلها، نوعيتها. الفصل السابع عرض الوصايا العشر التي ينبغي أن يلتزم بها من يمنح العمل أو الوثيقة المعروضة للترجمة. الفصل الثامن اكتفى بالتميز بين أنواع الترجمة الداخلية الخارجية، الثانوية. المناولة لمترجمين مستقلين، المناولة إلى مكتب الترجمة.

الباب الثالث: المترجم (من ص85 إلى ص129)

انضوت تحت هذا الباب عدة فصول (9، 10، 11، 12، 13) الفصل التاسع عرض فيه مخطط آلية إنجاز الترجمة من قبل المترجم، تحليل مختلف مراحله:

1. الاتفاق على كراسة الشروط (الواجبات الجينية لمانح الوثيقة).
2. تسليم الوثيقة للمترجم.
3. تسليم مع الوثيقة كل عنصر قياسي أو مفروض.
4. طلب الجرد والمقترحات.

5- طلب نماذج من الترجمة.
6. طلب قائمة فهرس وثائقي.
7. التصديق على قائمة المصطلحات، والجمل ونماذج التنظيم والعينات.
8. إرسال المعطيات الوثائقية إلى المترجم.
9. الرقابة على نوعية الترجمة.
10. تسلم الترجمة نهائيا.

الوصايا العشر لمانح العمل أو الوثيقة:

1. منح الترجمة الاعتبار والميزانية التي تستحقها.
2. منح المترجم الاعتبار والأجر الذي تستحق.
3. الاعتراف للمترجم بأنه شريك فعلي وحقيقي.
4. تحديد كراسة الشروط بالموافقة مع المترجم.
5. احترام الالتزامات المتفق عليها.
6. تحديد آجال التنفيذ المعقولة.
7. تقديم وثيقة سليمة (من الأخطاء، شفافة، مرنة) تكون نسخة لا أصلا.
8. تقديم كل المساعدات الضرورية للمترجم تتعلق بالتوثيق والمصطلحات وعلم الجمل، نماذج، وصايا.
9. لا نطلب المستحيل أبدا... إلا إذا كنا قادرين على دفع الثمن.
10. لا نغير من تلقاء أنفسنا وثيقة من نتاج مترجم جيد.

الباب الرابع: الترجمة ضمن السياق (ص131) اقتصر هذا الباب على فصل واحد وهو الفصل 14 الذي تعرض لـ (الأفكار المكتسبة والأشياء المتنوعة) وهو عبارة عن أحكام مأثورة في سياقات الترجمة تاريخيا وحاليا تأتي في شكل أمثال وأحكام ومواعظ عادة ما تطلق من قبل شرائح مختلفة من المجتمع في إطار الترجمة.

الباب الخامس: (الوسط أو البيئة) ضم هذا الباب ثلاثة فصول (15، 16، 17، 18). الفصل 15 الموسوم الهيئات الممثلة أو الممثلة. تعرض لبعض الهيئات والمؤسسات:

- الغرف الوطنية لمؤسسات الترجمة.
- الجمعية الفرنسية للمترجمين.
- النقابة الوطنية للمترجمين المهنيين.

أشار لطبيعة تنظيمها ،أهدافها، اتصالاتها، انجازاتها.

الفصل 16 الموسوم فوروم Forum معرض، استهدف نشاطات لجنة اللغة بمركز الفرنسة بفرنسا، وتعرض بالتفصيل إلى موردها المادية والبشرية وأشار إلى علاقاتها المختلفة.

ووسم الفصل 17بـ (التكوين المتواصل وما بعد التدرج).

أما الفصل 18 الموسوم عناوين مفيدة قدم في قائمة مستفيضة أسماء المؤسسات التي ورد ذكرها في كتابه إلى جانب الهيئات، والمداس العليا والجامعات والمراكز والمعاهد والمخابر التي لها علاقة وطيدة مع بيئة الترجمة.

نستشف من خلال هذه القراءة "البانوراميه" أن الاهتمام بالترجمة وتداعياتها يكاد يقبض على كل النشاطات. لا يكاد يفلت أي نشاط من مؤسسة الترجمة مهما كان بعيدا عن عالم الترجمة. وفي الواقع قلة من رجال الأعمال هي التي تعي اليوم أن ظاهرة الترجمة هي أهم وسيلة لنقل وتنقل النصوص بل البضائع والخدمات والتكنولوجيا...

يعد التوسل إلى خبرة إحدى مؤسسات الترجمة فعلا عاد جدا اليوم عندما أصبحت لغة العالم في واقع الأمر هي الترجمة.

إن المتأمل في تاريخ الترجمة ونشاطها يجد أن المترجم المبدع هو الذي حظي من بين أطراف التواصل الترجمي (المترجم، نص الترجمة، متلقي الترجمة) بالنصيب الأوفر ردحا طويلا من الزمن

حيث سادت معتقدات جعلت منها مفتاحا لفهم أسرار العملية الترجمية الإبداعية.

تتحقق هذه الوظيفة بواسطة ترجمة ناجزه يقصد منها تزويد المستخدم بصورة موثقة للنص الأصلي وذلك لأنها تشبه بدقة ذلك النص الذي استولدها والذي يصعب الوصول إليه. وفي هذا السياق يعبر عن الترجمة من خلال مجموعة من المجازات التي تجعل منها صورة طبق الأصل أو مستنسخا أو لوحة شخصية أو انعكاسا أو إعادة إنتاج أو محاكاة أو صورة مرآوية أو لوحا زجاجيا شفافا.[17]

إن مفهوم معايير الترجمة يمكن النظر إليه باعتباره طرحا أقوى لذات الفكرة القائلة بأن الترجمة، أي ترجمة، تنطوي على تأويل، ويعد هذا المفهوم طرحا أقوى لأن التأويل في هذا الإطار ليس معطى طبيعيا ولكنه خبرة اجتماعية مكتسبة تشتمل على أبعاد تقييميه ومعرفية، ومن ثمة تنتظمها عدة عوامل قياسية محددة. والنقطة الرئيسية هنا هي أن مفهوم المعايير يستدعي حضور القيم في عملية الترجمة، فالترجمة، إذن، ليست خالية من القيمة وليست محايدة ومن ثم لا يمكن تنحية المترجم أو مؤسسة الترجمة بعيدا عن فعل الترجمة.

أضحت الترجمة جزءا من نظم المعلومات. لذا فحاجات مؤسسات الترجمة العربية اليوم تنطوي أساسا تحت تكنولوجيا المعلومات. ولكن لابد من التأكيد هنا على أن عصر المعلومات ليس فقط عصر حاجات بل له أيضا متطلبات كثيرة.

فما نحتاجه اليوم هو صنف جديد من مؤسسات الترجمة التي لا تكتفي فقط بترجمة ما يطرح عليها من كتابات ومقالات بل تتفحصها وتنتقدها ثم تضطلع بدورها على الساحة الثقافية. لأن مؤسسة الترجمة أو أية مؤسسة تنتقي تستهلك أو تنتج الترجمة في عصر العولمة هي في الواقع تمارس التحليل قبل الترجمة وهي قبل كل شيء تتابع ما ينشر

في لغتين أو أكثر وما يكتب في ثقافتين أو أكثر، لتكون الوسيط اليقظ في عصر تتداخل فيه المعلومات وتتضارب فيه الأخبار والكتابات.

وهذا التغيير الكبير في دور مؤسسات الترجمة هو أساسا من إفرازات تكنولوجيا المعلومات التي أدت إلى نقله نوعية شبيهة بما حصل في أوروبا إثر الثورة الصناعية وأدى إلى بروز المترجم المتخصص في ميادين التقنية والعلمية. فمؤسسات الترجمة اليوم تتمحور كفاءاتها حول الطريقة الأمثل لنقل المعلومات بعد فرزها والتثبت منها، لأن دورها حضاري يتجاوز الترجمة إلى هدف أعمق وأشمل ألا وهو بناء مجتمع المعرفة في العالم والعالم العربي على الخصوص.[18]

والمستقرئ للمسار العالمي يرى من البديهي أن التواصل والتبادل في زمن العولمة يمر عبر قناة الترجمة التي تتعانق وتتشابك عندها كل اللغات وكل المنتوجات وكل المهن والنشاطات التي تتوزعها لغات العالم.[19]

ولولا الترجمة ما عبرت المنتجات، والنتاجات، والأفكار، والقيم أفق اللغة الواحدة على متن عربة المصطلحات والتي على عاتقها تخطى العالم أفق اللغة القومية، والوطنية، وكرس الترجمة بوصفها لغة الجميع. إن الترجمة بمثابة القاطرة التي تجوب كل الآفاق، ودون جواز سفر. يستحيل اليوم، على مختلف الأمم والأفراد، تصور عالم خال من الترجمة.[20]

خاتمة المقال:

عبر هذه الرحلة الطويلة الممتعة، لم يحاول "دانيال جواداك" أن يخلع على الترجمة معنى يريده هو... ولم يكلف الترجمة غايات لا تريدها... بل تركها كمهنة وكصناعة تقودنا وحدها إلى غاياتها الجادة النافعة الجميلة.

إن السير على وقع خطواته، جعلني استخلص في الأخير نظرة عامة حول هذا العمل الترجمي، ووصلت إلى مسلمة عامة مفادها أن **الترجمة عملية دينامية تنمو وتتطوّر مناهجها ووسائلها ونماذجها مع الوقت بالتطبيق والتمحيص المتواصل**، وأنها قد تتحوّل في بعض الحالات، وفي بعض المجالات، إلى **عملية إبداعية**، محسوبة الخطوات والدرجات، تراعي مكوّنات النص الأصلي، وتتجاوب مع متطلبات القارئ المستهدف، بل مانح وثيقة العمل الأصلية Le donneur d'ouvrage.

والترجمة كما أنها ليست صورة جامدة أو صدى مشوّها للأصل، تغترب فيه النصوص عن مجالاتها الدلالية وسياقاتها التاريخية، فإنها لا تُخِلُّ أيضا بأخلاقية الوفاء للنص الأصلي. هذا واقع الترجمة في العالم المتقدم، فماذا عن واقعها في بلدنا؟ كيف يستطيع المترجم العربي أن يُحافظ على أصالة النص الذي ينقله، دون أن يُغفل حق المتلقي في قراءة نص سلس اللغة وبيّن الدلالة وواضح العبارة؟ وكيف يمكن قراءة تاريخ الترجمة العربية في ضوء هذه المنطلقات؟

على هامش هذه القراءة جدير بنا أن نستفيد من منجزاتها. نظرا لأن معظم ما ينشر الآن في العلوم والتكنولوجيا والإعلام والطب يصدر بلغات أوروبية مهيمنة، فعلى المؤسسات والهيئات والمراكز الوطنية أن لا تضطر الطالب والمختص والخبير الجزائري إلى القفز على لغته الجميلة الحبيبة وتجاوزها بل الالتفاف عليها وتلقي هذه المعارف مباشرة باللغات الأجنبية. على المؤسسات المختصة أن تتكفل بترجمة معظم ما يحتاجونه إلى العربية حتى يبقى ولاؤهم لها صلبا ولكي لا تتهم لغتنا بالتقصير وضعف مسايرة التطور ظلما وإجحافا.

هوامش:

1- دانيال جواداك Daniel Gouadec يشتغل مترجما، محررا ومصطلحيا وهو أستاذ في وحدة التكوين والبحث في اللغات الأجنبية التطبيقية في جامعة "رانس". قدم أبحاثا مستفيضة حول إستراتيجية الترجمة وتكوين المترجمين. درس في مدرسة المترجمين في جامعة "أوتاوا هول". بالإضافة إلى هذا فهو مسئول في إطار مخبر أتمتة المعطيات اللسانية التابع لمركز البحوث وتطبيقات الإعلام الآلي في التعليم.
جواداك دانيال، "المترجم، الترجمة والمؤسسة" Afnor tour d'Europe، Paris، 1989، ص182.

2- م.ن، ص7.

3- م.ن، ص21،20.

4- إن الممارسات الترجمية الحديثة تميز بين الترجمة البشرية ويكون القائم بها عنصر بشري، والترجمة الآلية وهي المعتمدة على المعلوميات وبرمجياتها. تتوزع الترجمة البشرية إلى ترجمة شفهية (مع تصنيفاتها الداخلية: فورية، متواقتة، متخللة...)، وترجمة تحريرية تعتمد النص المكتوب، وهي تتوزع أيضا إلى ترجمة تقنية أو علمية، أي ترجمة النصوص العلمية البحتة أو الدقيقة أو التطبيقية، وترجمة أدبية وتشمل أيضا العلوم الإنسانية في معناها الواسع، والأدب في معناه الحصري وهي أيضا تتفرع إلى أنواع. وفي هذا السياق، يشير إدموند كاري إلى أنواع أخرى من الترجمة الدبلوماسية أو البرلمانية والقانونيه والإدارية والصحفية والتكنولوجية والمؤسساتية.
Voir: Edmond Cary, la traduction dans le monde moderne, Genève, 1956.

5- م.س، ص13.

6- Voir: - Roman Jakobson, «On linguistic aspects of translation», in on translation, Ed R.A. Brower, Harvard University Press, 1959.

- Georges Mounin, Les Problèmes théoriques de la traduction, Paris, Gallimard, 1963.

7- م.س، ص20-21.

8- م.ن، ص34-43.

9- م.ن، ص22-23.

10- Entreprise de sous-traitance: la sous-traitance est un contrat par lequel une entreprise dite mutuelle demande à une autre entreprise dite assujettie de réaliser.

11- Voir: Eco, Dire presque la même chose. Expériences de traduction, traduction de Myriam Bouzaher, Paris, Grasset, 2006 [édition originale, 2003].

12- م.س، ص74-89.

13- م.ن ، ص 20.

14- لمزيد من التوسع ينظر: ويلاك روني، مفاهيم نقدية، ص20.

15- م.س، ص20.

16- م.ن، ص34-43.

17- م.ن، ص56-57.

18- Voir: Cronim Michael, Traduction et mondialisation, Editeur: Routledge, une empreinte de Taylor & Francis Ltd Livres, 2003.

19- الترجمة المهنية العربية والتكنولوجيا الحديثة، ندوة مدرسة الملك فهد العليا للترجمة والفدرالية الدولية للمترجمين، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989.

20- Voir: G. Sapiro, Translation. Le marché de la traduction en France à l'heure de la mondialisation, Editions du CNRS, 2008.